# الكَشْكول اللغوي (٣)

## العقاقير والعَقارات والعُقار والعاقر والعَقْر

أ. د. رفعت هزيم(*)

أ- «العقاقير» و«الأدوية» لفظان مترادفان اليوم، وبيّن الثعالبي العلاقة بينهما بقوله: «كلُّ نَبْتٍ يقعُ في الأودية فهو عَقّار والجمع عقاقير،... والعقاقير في ما تُعالجُ به الأدوية كالتوابل في ما تُعالجُ به الأطعمة»(١). وذكر ابن منظور في شرحه لأوّلهما صيغتين لمفرده، قال: «العَقّار والعِقّير- بالتشديد -: ما يُتداوى به من النبات والشّجر،... وقال الجوهريّ: العقاقير أصولُ الأدوية»(٢). ولو نظر المرء في كتب المتقدّمين كالطبري وابن عربي وابن خلدون والنويري - على اختلاف مشاربهم- لوجد أنهم يستعملونهما في تراجم الأطباء متعاطفَينِ دون بيان الفرق الدلالي بينهما، فيقولون: أُعطيَ فلانٌ الحكيم معرفة العقاقير والأدوية(٣)، غير أنّ بعضهم بيّن أنهما ليسا مترادفين، فقد ذكر ابن شاكر في كتابه «فوات الوفيات» أن الخليفة العباسيّ المستنصر بالله أرسل إلى دُور المرضى في مكة والمدينة «ما تحتاج من

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) فقه اللغة ١ و٦.

(٢) اللسان.

(٣) وقد ورد بالدلالة نفسها في الحبشية الجعزية بصيغتي الجمع ʿaqâqîr والمفرد ʿaqâr: Leslau 68، والظاهر أنهما من العربية.

العقاقير والأدوية المركبة»، مما يعني أنّ العقاقير هي الأدوية المفردة. ولذا جعل ابنُ البيطار (ت٦٤٦هـ) عنوان كتابه المعروف الذي تضمّن أسماء الأدوية وأوصافها ومنافعها: «الجامع في الأدوية المفردة»؛ لأنّ الأطباء كانوا يستمدّون المواد من النبات ويحضّرون منها الأدوية. وبذلك يتضح تعريفهم العقاقير بأنها «أصول الأدوية». ولا غرابة في أن يكون لقب ابن البيطار في كتاب «الوافي بالوفيات» لصلاح الدين الصفدي هو «ابن البيطار العشّاب»، فقد ذكر ابن أبي أُصيبعة أن ملك الأيوبيّين الكامل كان يعتمد على ابن البيطار في الأدوية المفردة والحشائش، وجعله رئيسًا على سائر العشّابين في الدّيار المصريّة. وبيّن لنا ياقوت الحموي في أثناء حديثه عن جزيرة سيلان في كتابه «معجم البلدان» أنّ فيها عقاقير كثيرة ليست في غيرها، ومنها: الدارصيني وزهرة البقم. وهذا يعني أن معظم العقاقير - ومنها المندل - كانت تُباعُ في دكاكين العطارين، ولذا يقول أبو فراس:

هذي عقاقيرُ العطارةِ كلُّها لمْ يحترقْ منهنّ إلا المَندلُ

وقد صنف ثيوفراستوس ٣٧٢-٢٨٧ق.م تاريخ النبات و طبيعة النبات ودرس فيهما نحو ٥٠٠ نبتة. وذكر بلينيوس ٢٣-٧٩م في التاريخ الطبيعي زهاء ألف نبتة. وأصدر ديسكوريدس في القرن الأول كتاب (المواد الطبية) وصف فيه زهاء ٦٠٠ نبتة طبية، وأصبح أهم مرجع في علم الأدوية حتى عصر النهضة.

ب- أمّا «عُقْرُ» الدار فهو «أصلها، وقيل: وسطها، وفي الحديث: ما غُزيَ قومٌ في عُقْر دارهم إلا ذَلّوا...، قال الأصمعي: عُقْرُ الدار: أصلها في لغة الحجاز، وأهل نجد يقولون: عَقْر، ومنه قيل: العَقَار، وهو المنزل والأرض والضياع...، وخصّ بعضهم بالعَقار النّخلَ...، وقيل: عَقارُ البيت: مَتاعهُ ونَضَدُهُ الذي لا يُبتذلُ إلا في الأعياد والحقوق الكبار...، وفي الحديث أن

النبي ﷺ ردَّ على بني العنبر ذراريهم وعَقار بيوتهم؛ أيْ: أمتعة بيوتهم من الثياب والأدوات، وعَقار كل شيء: خياره...»[٤].

ويظهر أن صيغة الجمع من «العَقار» لم تكن مستعملة في صدر الإسلام، ففي كتاب النبي ﷺ إلى ملوك حمير: «... وما كُتبَ على المؤمنين من الصدقة، من العَقار عُشر ما سقت العينُ وسقت السماءُ»[٥]، وظل الأمرُ كذلك حتى أوائل العصر العباسيّ، فقد روى ابنُ الجوزي في كتابه «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» أنّ حريقًا وقع في الكرخ في عهد الخليفة المعتصم (ت٢٢٧هـ) «فوهب التّجّار وأصحاب العَقار خمسة آلاف درهم»، ولكنه ذكر كذلك صيغة الجمع المستعملة اليوم في خبر عن صاحب الوقف زمن الخليفة المعتضد (ت٢٨٩هـ) الذي أخذ ٤٠٠ دينار عن «العقارات» في أحد المواقع، غير أنّ ابن حجر العسقلاني في كتابه «الدّررُ الكامنة في أعيان المئة الثامنة» لا يستعملها في روايته عن أحدهم الذي «اقتنى من العَقار بمكة ومن العبيد شيئًا كثيرًا». ثم غلبت صيغة الجمع المستعملة في القرون التالية – كما هي الحال اليوم – وصارت دلالتها أكثر وضوحًا، كقول المحبي في كتابه «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر»: إنّ فلانًا «اقتنى دُورًا وأتباعًا وعبيدًا، وتملّك عقارات وبساتين وحوانيت وحمّامات».

أما العربية الجنوبية فقد ورد في السبئية منها لفظان، ويبدو أنّ أحدهما وهو ᶜqr يناظر «عَقار» وانفردت بالآخر، وهو mᶜqr، وكلاهما بمعنى «أرض يسقيها المطر»[٦] وهو خاصٌّ بالسبئيّة وحدها.

(٤) اللسان.

(٥) تهذيب سيرة ابن هشام ٢٧٩.

(٦) المعجم السبئي ١٨.

ج- وعقد الثعالبيّ في كتابه «فقه اللغة» فصلًا لأسماء الخمر وصفاتها، ومنها «العُقار»، فقال: «الخمرُ اسمٌ جامع، وأكثرُ ما سواه صفات، الشَّمول... والخَنْدريس... والرّحيقُ... والرّاح... والعُقارُ: التي عاقرت الدَّنَّ زمانًا؛ أي: لازمتهُ، عن الأصمعيّ»[٧]. ثم ذكر ابن منظور هذا الاشتقاق، وأضاف إليه أوجهًا أخرى، فقال: «سُمّيتْ بذلك لأنها عاقرت العقلَ وعاقرت الدَّنَّ؛ أيْ: لزمتهُ، ومُعاقرةُ الخمر: إدمانُ شربها، وفي الحديث: لا يدخل الجنّةَ مُعاقرُ خمرٍ،... ابن الأنباري: أصلهُ من عُقر الحوض، وهو أصلهُ؛ لأنّ شاربها يلازمها ملازمة الإبل الواردة عُقر الحوض حتى تَروى، وقال أبو سعيد: مُعاقرةُ الشرابِ مُغالبتهُ، يقول: أنا أقوى على شُربه، فيغالبهُ فيغلبهُ»[٨]. وسُمّي «العُقار» كذلك عند الراغب الأصفهاني «لكونه كالعاقر للعقل»[٩].

وإذا كان بعض أسماء الخمر دخيلًا فإنّ أحدًا من المتقدّمين لمْ يشكّ - فيما أعلم - في عربيّة «العُقار»، غير أن بعض المستشرقين ومَن سايرهم من العرب أنكروا أصالته في العربية، فقد أورده فرنكل في فصلٍ من كتابه بعنوان «أسماء الخمر وآنيتها»، وخلاصته أنّ عرب الجاهلية جلبوا الخمر ومعها معظم أسمائها من خارج الحجاز، ولذا جعل «العُقار» من ʿeqârâ في السريانية[١٠].

وقد شاع استعمال هذا اللفظ لدى الشعراء، كقول الأعشى:

وتَحسبُ أنهمُ مَوتى إذا ما تَمَشّتْ فيهمُ الرّوحُ العُقارُ

وذكره ابن المعتزّ مع مرادفين له:

---

(٧) فقه اللغة ٩٠.

(٨) اللسان.

(٩) المفردات، ولعله المراد بما ورد في اللسان «قيل: هي التي تَعقِرُ شاربها».

(١٠) Fraenkel 163 ، وكذلك: نخلة ١٩٦.

اسْقني الرّاحَ في شبابِ النهار وانْفِ هَمّي بالخَندريس العُقارِ

د- وهناك لفظا «العَقْر» و«العُقْر»؛ أيِ: العُقْمُ، وهما صيغتا المَصدر من: عقَرَت المرأةُ والرَّجلُ، وعقُرا كلاهما، فهو وهي عاقر، ورجالٌ ونساءٌ عُقَّرٌ، «وامرأة عاقر: اسمٌ بمعنى النَّسب بمنزلة امرأة حائض وطالق وكذلك الناقة،...»(١١).

وقد ورد «العاقر» في القرآن الكريم على لسان زكريا وصفًا لامرأته: ﴿وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ﴾ [آل عمران: ٤٠]، و: ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾ [مريم: ٥، ٨]. ومن الطريف أن تكون الصيغة واحدة للرجل والمرأة في العبرية أيضًا ʿâqâr(١١) في حين تفرق السُّريانية بينهما، ففيها ʿaqrâ للرجل و ʿqartâ للمرأة.

ونشأ عن هذا المعنى دلالات أخرى نحو: «وعُقْرةُ العِلْم: النسْيان،... وعقُرَ الأمرُ عَقْرًا: لمْ يُنتجْ عاقبةً، قال ذو الرمّة يمدح:

فَشَدَّ إصارَ الدِّينِ أيّامَ أذْرُحٍ وَرَدَّ حُروبًا قد لَقِحنَ إلى عُقْرِ

أيْ: رَجعنَ إلى سكون. والعاقر من الرَّمل: ما لا يُنبت، يُشبّهُ بالمرأة»(١١).

هـ- ومن الثلاثيّ أيضًا، وهو على وزن «فعَلَ»: عقَرَ البعيرَ عَقْرًا: ذبحه، وقد ورد في القرآن الكريم في الحديث عمّا فعلته ثمود بناقة صالح: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾ [الأعراف: ٧٧] و: ﴿ ﴾ [هود: ٦٥، الشعراء: ١٥٧، الشمس: ١٤] و: ﴿ b c d e ﴾ [القمر: ٢٩] «أيْ: تعاطى الشّقيُّ عَقْرَ الناقة فبلغ ما أراد...، وعقَرَ الفرسَ والبعيرَ بالسّيف: قطع قوائمه...، قال الأزهريّ: العَقْرُ عند العرب كشفُ عُرقوب البعير، ثم جُعلَ النَّحْرُ عَقرًا؛ لأنّ ناحر الإبل يعقِرها ثم يذبحها»(١١).

(١١) اللسان.

وقد ورد الفعل بهذا المعنى بصيغة ᶜâqar في العبرية[١٢] و ᶜqar في السُّريانية[١٣].

فإذا كان على وزن «فعِلَ» – أيْ: عقِرَ – نشأت دلالة قريبة، فالعَقَرُ «أنْ تُسْلِمَ الرّجُلَ قوائمُه إلى الخوف، فلا يقدرُ أن يمشيَ من الفَرَقِ والدَّهَش،... وفي حديث عمر ﷺ أن النبي ﷺ لمّا مات قرأ أبو بكر ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، قال عمر: فعَقِرْتُ وأنا قائم حتى وقعتُ إلى الأرض»[١٤].

فهل ثمة رابط اشتقاقي بين «العقاقير» و«العَقارات» و«العُقار» و«العاقر» و«العَقْر» التي لمْ يشكّ أحدٌ من المتقدّمين في عربيّة أيٍّ منها ؟ يظهر أنهم حاولوا الجمع بين هذه الألفاظ بدلالاتها المختلفة على النحو الذي فعله الراغب الأصفهاني، قال: «عقْر الحوض والدار – بضم العين وفتحها –: أصله، وعَقَرْتُهُ: أصبتُ عُقْرَهُ؛ أيْ: أصْلَهُ، ومنهُ عَقَرتُ النّخلَ: قطعتُهُ من أصلِه، وعَقَرتُ البعيرَ: نحرْتُهُ...، وامرأةٌ عاقر: كأنها تعقِرُ ماءَ الفحل... والعُقْرُ: آخرُ الوَلد، والعُقارُ: الخمْرُ لكونه كالعاقر للعقل...، والعقاقير: أخلاطُ الأدوية»[١٥].

أما اليوم فإنّ بعض المستشرقين ومَن سايرهم من العرب أنكروا أصالة «العُقار» في العربية، فقد أورده فرنكل في فصلٍ من كتابه بعنوان «أسماء الخمر وآنيتها»، وخلاصته أنّ عرب الجاهلية جلبوا الخمر ومعها معظم أسمائها من خارج الحجاز، ولذا جعل «العُقار» من ᶜeqârâ في السُّريانية مع أنه لا يُستعمل فيها للدلالة على الخمر، وادّعى أن العربية صاغت منه

(١٢) KBL 827.

(١٣) Brockelmann 543-544

(١٤) اللسان.

(١٥) المفردات ٣٤١، وانظر اللسان.

«العَقّار» – وهو مفرد «العقاقير» – المرادف عنده لـ «الدِّرياق»، وهو من أسماء الخمر أيضًا؛ لأن العرب يصفون الخمر بأنها دواء، وانتقل إلى «العَقار» – المفرد من «العَقارات» – فقرنه بـ «عقْر الدار: أصلها»، ولكنه فصلهما عن «عَقَرَ البعيرَ والفرسَ»(١٦). أما برصوم فقد أورد «العقاقير» وحده، وادّعى أنه من ʿeqârâ في السُّريانية؛ لأن معناه فيها «أصلُ كلّ شيء، وهو منسوب إلى زهاء ٢٥ نوعًا من النبات كعقّار آدم والعقار الخصب وعاقر قرحا»(١٧).

ولا يصعب على المرء بعد هذا العرض أن يستنتج أن أيًّا من هذه الألفاظ ليس دخيلًا في العربية، وأنها – أو بعضها– من الألفاظ المشتركة في الساميّة الغربيّة.

* * *

## المصادر والمراجع

**بالعربية:**

- الألفاظ السريانية في المعاجم العربية: مار أغناطيوس أفرام الأول برصوم، دمشق ١٩٥١.
- تهذيب سيرة ابن هشام: عبد السلام هارون، ط٦ القاهرة ١٩٨٦.
- غرائب اللغة العربية: رفائيل نخلة، بيروت ط٣ ١٩٨٤.

(١٦) Fraenkel 233+163.

(١٧) برصوم ١١٨.

- فقه اللغة وسر العربية: الثعالبي، بيروت ط١ ١٩٩٧.
- لسان العرب: ابن منظور، بيروت د.ت.
- محيط المحيط: بطرس البستاني، بيروت ١٨٧٠.
- المعجم السبئي: أ.بيستون، ج. ريكمانز، م. الغول، و. مولر، بيروت ١٩٨٢.
- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت د.ت.

**باللغات الأجنبية:**

- Brockelmann,k.: Lexicon Syriacum.1928, Neud.Hildesheim 1966.
- Fraenkel , S.: Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen. Leiden 1886 , Neud. 1982.
- KBL = L. Koehler & W. Baumgartner: Hebräishes und Aramäisches Lexikon zum Alten Testament. 3 Auflage. Leiden 1967- 1995.
- -Leslau , W.: Comparative Dictionary of Ge$^{c}$ez. Wiesbaden 1987.

* * *